مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(كولوسي ٣: ٤–١١)

يا إخوةُ متى ظهرَ المسيحُ الذي هو حياتُنا فأنتم أيضاً تظهَرون حينئذٍ معهُ في المجد* فأميتوا أعضاءَكم التي على الأرضِ الزنى والنجاسةَ والهوى والشهوةَ الرديئةَ والطمعَ الذي هو عبادةُ وثَنٍ* لأنّهُ لأجلِ هذه يأتي غضبُ اللهِ على أبناءِ العصيان* وفي هذه أنتم أيضاً سلكتُم حيناً إذ كنتم عائشينَ فيها* أمَّا الآنَ فأنتم أيضاً اطرَحوا الكُلَّ الغضبَ والسُخْطَ والخُبثَ والتجديفَ والكلامَ القبيحَ من أفواهِكم* ولا يكذِبْ بعضُكم بعضاً بل اخلَعوا الإنسانَ العتيقَ مع أعمالِه* والبَسوا الإنسانَ الجديدَ الذي يتجدَّدُ للمعرفةِ على صورةِ خالقِه* حيثُ ليس يونانيٌّ ولا يهوديٌّ لا خِتانٌ ولا قلَفٌ لا بَربريٌّ ولا إسكيثيٌّ

أحد الأجداد القديسين

«هلّموا يا محبي الأعياد لنمدح بالتراتيل محفل الأجداد، آدم الأب الأول وأخنوخ ونوح وملكيصادق وإبرهيم وإسحق ويعقوب، ثم الذين بعد الشريعة، موسى وهرون ويشوع وصموئيل، ومعهم إشعياء وارمياء وحزقيال ودانيال والأنبياء الإثني عشر مع إيليا وأليشع وزخريا والمعمدان والذين كرزوا بالمسيح حياة جنسنا وقيامته» (من صلاة غروب أحد الأجداد).

فيما يقترب إلينا عيد تجسّد ربنا وإلهنا يسوع، نغوص أكثر فأكثر في سر تدبيره الإلهي، هذا التدبير الذي أعلنه الله لنا عبر رجال عظماء أمناء لله كانوا ينتظرون خلاص إلهنا. لذا فقد رأت الكنيسة انه من اللائق جداً أن نعيِّد في الأحد الثاني قبل عيد الميلاد لـ«الأجداد» الذين هيَّأ الله بهم ميلاد مسيحه بالجسد، هؤلاء الذين «كرزوا بالمسيح حياة جنسنا وقيامته». وتمتد هذه السلسلة من الأجداد من أقدمهم، آدم الأب الأول وهابيل، إلى زكريا الكاهن ويوحنا المعمدان الذي وُلد قبل ستة أشهر من ولادة المسيح. وطبعاً لا تنسى الليتورجيا تلك النسوة الفاضلات اللواتي لعبنَ دوراً مهماً في تحقيق خلاصنا: «يا رب ان البنات قديماً، قد صنعن بقدرتك قوات، أعني حنّة ويهوديت ودبورة ويائيل واستير وسارة ومريم أخت موسى وراحيل ورفقة وراعوث السامية العزم» (من صلاة سَحَر أحد الأجداد).

العدد ٢٠٠٩/٥٠
الأحد ١٣ كانون الأول
أحد الأجداد
تذكار القديسين أفستراتيوس وأفكسنديوس وأفجانيوس ومرداريوس وأريستس الشهداء، والقديسة لوكيا (نور) البتول
اللحن الثاني

قسم من هؤلاء الأجداد ينتمي إلى بيت إسرائيل مثل إبراهيم وإسحق ويعقوب، ومنهم مَن كان من خارج بيت إسرائيل مثل ملكيصادق وايوب. هؤلاء وإن لم يكونوا كلهم من نسلٍ الرب يسوع بالجسد، إلاّ أنهم يشكلون سلالة «الأمانة» لله. هم من هذا النسب «السري» الذي أظهر الله من خلالهم رسم عمله الخلاصي الحاصل بتجسُّد كلمته، ابنه الوحيد، ربنا يسوع المسيح. انهم كل الذين شهدوا لله ومسيحه منذ آدم.

صحيح ان الله وعد إبرهيم وإسحق ويعقوب بأن المخلّص سوف يكون من صلبهم، إلا ان وعده لهم بالخلاص كان لكل أبناء آدم وليس سلالة إبرهيم فقط، بيت إسرائيل.

لا عبدٌ ولا حرٌّ بل المسيحُ هو كلُّ شيءٍ وفي الجميع.

الإنجيل

(لوقا ١٤: ١٦–٢٤
ومتى ٢٢: ١٤)

قال الربُّ هذا المَثَل. إنسانٌ صنع عشاءً عظيماً ودعا كثيرين* فأرسل عبدَهُ في ساعة العشاءِ يقول للمدعوّين تعالوا فإنَّ كلَّ شيءٍ قد أُعِدَّ* فطفِق كلُّهم واحدٌ فواحدٌ يَستَعْفون. فقال لهُ الأولُ قد اشتريتُ حقلاً ولا بدَّ لي أن اخرجَ وانظرَهُ فأسألك أن تُعْفِيَني* وقال الآخرُ قد اشتريتُ خمسةَ فدادينِ بقرٍ وأنا ماض لأُجرِّبَها فأسألك أن تُعْفِيَني* وقال الآخرُ قد تزوَّجتُ امرأةً فلذلك لا أستطيعُ أن أجيءَ* فأتى العبدُ وأخبر سيِّدَهُ بذلك* فحينئذٍ غضِبَ ربُّ البيتِ وقال لعبدِه اخرُجْ سريعاً إلى شوارعِ المدينةِ وأزقَّتِها وأدخِلِ المساكينَ والجُدْعَ والعميانَ والعُرْجَ إلى ههنا* فقال العبدُ يا سيّدُ قد قُضِيَ ما أمرتَ به ويبقى أيضاً محلٌّ* فقال السيّدُ للعبد أخرجْ إلى الطُّرقِ والأسْيجَةِ واضطَرِرهم إلى الدخولِ حتى يمتلئَ بيتي* فإنّي

فخلاص الله موجَّه لكل البشرية، بيت إسرائيل والأمم. لذا فإن مَن يقرأ الكتاب المقدَّس جيداً يلاحظ ان الله لم يحصر تهيئته للبشرية للخلاص بالعبرانيين وحدهم، إنما عمل من خلال غيرهم أيضاً، مثل ملكيصادق وأيوب وراعوث. فالقصد الإلهي كان، منذ البدء، جَمْعَ الكل، يهود وأمميين، إلى واحد هو المسيح، الذي «جعلَ الإثنينِ واحداً ونَقَضَ حائِطَ السِّياجِ المتوسِّطَ، أي العداوةَ... لكي يخلُقَ الإثنينِ في نفسِه إنساناً واحداً جديداً» (أف٢: ١٤–١٥). هؤلاء جميعهم، رجالاً ونساء، عبرانيين وغير عبرانيين، وجدوا الحياة في الله، وعلّموا ان الحياة هي المسيح، الإله المتجسّد، الذي أعطانا الخلاص واستعاد حياتنا التي كان الشرير مسيطراً عليها. لقد عاشوا حياتهم كلها وهم ينتظرون مجيء المخلِّص وكانوا يبشِّرون الجميع بمجيئه وتمنوا لو رأوا اليوم الذي وُلد فيه، لكنهم هيأوا الطريق لمجيء المخلص. هؤلاء جميعهم، وكما تقول رسالة اليوم، سوف يظهرون «معه في المجد» متى «ظهر المسيح الذي هو حياتنا» (كو ٣: ٤).

مَن يتابع الليتورجيا بشكل عام وليتورجيا «أحد الأجداد» بشكل خاص، لا بد أن يلاحظ الذكر الخاص والمتكرّر كثيراً للنبي دانيال والفتية الثلاثة حنانيا (سدراخ) وعازريا (عبد ناغو) وميصائيل (ميساخ). فالفتية الثلاثة الذين تُقرأ قصتهم (دانيال ٣) أيضاً يوم سبت النور، كانوا من بين الشعب العبراني المسبي في بلاد بابل، وعندما أمر الملك البابلي نبوخذنصّر بأن يسجد جميع الشعب لتمثال صنعه لنفسه، رفض هؤلاء الثلاثة السجود لغير الله. حاول استمالتهم بالوعيد ثم بالتهديد فلم ينجح. غضب منهم وأمر بأن يحمّى أتون النار سبعة أضعاف وألقى الثلاثة موثقين في النار. لكن الفتية الثلاثة لم يُصبهم أذى، بل كانوا يتمشون في وسط النار برفقة شخص رابع و«منظر الرَّابعِ شبيهٌ بابنِ الآلهةِ» (دا ٣: ٢٥) وكانوا يسبِّحون الرب ويشكرونه. فكان ان آمن نبوخذنصر وبارك إلههم.

أما دانيال النبي فقد حاك عليه زملاؤه في الجباية مؤامرة لأنه كان أميناً وكان الملك داريوس البابلي يحبه (دانيال ٦). أقنع الجباة الملك بأن يمنع السجود لأي إله وأن تُرفع الصلوات له، ومَن يخالف يُرمى في جب الأسود. ركع دانيال وصلّى إلى الله أمام شباك منزله المفتوح تجاه أورشليم، ثم واجه الملك. ولما لم يستطع الملك استمالته رماه في جب الأسود ووضع حجراً على باب الجب. في الصباح نادى الملك دانيال: «يا دانيالُ عبدَ اللهِ الحيِّ هل إلهُكَ الذي تعبُدُهُ دائماً قَدِرَ على أن يُنجِّيكَ من الأسودِ. فتكلَّمَ دانيالُ مع الملكِ: يا أيُّها الملِكُ عِشْ إلى الأبدِ. إلهي أرسلَ ملاكَهُ وسدَّ أفواهَ الأُسودِ فلم تَضُرَّني...» (دا ٦: ٢٠–٢٢). فما كان من الملك إلا أن أخرج دانيال ورمى زملاءه مكانه فأكلتهم الأُسود، ثم أصدر الملك أمراً بأنه «في كلِّ سلطانِ مملَكتي يرتَعِدونَ ويخافونَ قُدَّامَ إله دانيالَ لأنَّه هو الإلهُ الحيُّ القَيُّومُ إلى الأبدِ وملكوتُهُ لن يزولَ وسُلطانُهُ إلى المنتهى» (دا ٦: ٢٦).

ليتورجيا أحد الأجداد تمتدح دانيال والفتية لإيمانهم غير المتزعزع بالله مِمَّا يؤهلهم لأن

أقول لكم إنَّهُ لا يذوقُ عشائي أحدٌ من أولئكَ الرجال المدعوّين* لأنَّ المدعوّين كثيرون والمختارين قليلون.

تأمل

«أما الآنَ فأنتم أيضاً اطرحوا الكُلَّ الغضبَ والسُخْطَ والخُبْثَ والتجديفَ والكلامَ القبيحَ من أفواهِكم».

من الضروري أن نلجم غضبنا كمسيحيين وأن نكون ودعاء مع الذين يحزنونا. وقد تصرف المخلّص هذا التصرّف وصار تصرّفه فلسفة حقيقية للعالم وكان القدوة الكبرى بما فعله وتحمله من أجلنا. اتخذ جسداً ودماً من أجل أولئك الذين أحزنوه بخطاياهم. جاء ليخلّص أولئك الذين يستطيع أن يقذف أقسى الأحكام والتهم في وجههم. وزّع إحساناته على أناس جعلوا نفوسهم غير جديرة بأية موهبة بسبب خطاياهم. اتهموه بأنه يُخرج الشياطين باسم رئيس الشياطين ومع ذلك ثابر بوداعة وتواضع على إحساناته مخرجاً الشياطين. لم يكن يكونوا من سلالة الأمانة التي تحدثنا عنها: «ان فتيان الله كانوا يتخطرون في وسط اللهيب مبتهجين بندى الروح كأنهم في روضة. فسبقوا ورسموا فيه سر الثالوث وسر تجسّد المسيح. وبما انهم حكماء أخمدوا بالإيمان قوة النار. وأما دانيال الصدّيق فقد ظهر سادًّا أفواه الأسود...» (من صلاة الغروب).

إذاً، وبحسب الترنيمة، الفتية الثلاثة هم صورة عن الثالوث كما انهم صورة انتصار الإيمان على الموت. هم صورة عن كل الذين يطيعون الله بثقة كاملة. أخيراً، يمثّل الفتية الثلاثة – وهنا الرابط المباشر مع الميلاد – علّيقةً غير ملتهبة جديدة، نار الحضور الإلهي الذي لا يحرق: «أيها المسيح ان فتيانك لما كانوا في أتون النار كأنهم في ندى، سبقوا فرسموا سرياً مجيئك من البتول الذي أنارنا بغير احتراق...» (من صلاة الغروب). الشخص الرابع الذي كان معهم، ويشبه «ابن الآلهة» هو الرب يسوع الحاضر بيننا لينقذنا من أتون تجارب هذا الكون.

ولأهمية قصتي دانيال والفتية الثلاثة خصصت لهم الكنيسة عيداً خاصاً، قبل عيد الميلاد، في ١٧ كانون الأول.

الحياة في التكوين

مَن يقرأ رواية خلق الإنسان في سِفر التكوين لا بد له أن يلاحظ عظمة الإنسان وفرادته عن باقي المخلوقات في هذا الكون العجيب الواسع. فالإنسان فريد من حيث الطريقة التي خلقه بها الله وأبدعه وأدخله إلى الوجود، وهو عظيم من ناحية ما حباه الله من صفات وإمكانات وميزات تجعل قيمة حياته تفوق كل ما وُجد على وجه الأرض. الأهم بالنسبة لنا ان الله خلق الإنسان وحده في هذا الكون قائداً.

نقرأ في سِفر التكوين: «في البَدءِ خلَق اللهُ السمواتِ والأرض. وكانت الأرضُ خربةً وخاليةً وعلى وجهِ الغَمْرِ ظُلمةٌ وروحُ اللهِ يرُفُّ على وجه المياه. **وقالَ اللهُ ليكُن** نورٌ **فكانَ** نور. ورأى اللهُ النورَ أنَّهُ حَسَنٌ. وفَصَلَ اللهُ بينَ النورِ والظلمة، ودعا اللهُ النورَ نهاراً والظلمةُ دعاها ليلاً. وكان مساءٌ وكان صباحٌ يوماً واحداً» (تك ١: ١–٥). ويمضي الله في الخلق في اليوم الثاني والثالث والرابع والخامس، فخلق اليابسة والبحار والأشجار والنبات والشمس والقمر والكواكب والزحافات والحيوانات والطيور والبهائم. في هذه الأيام الخمسة كان الله يخلق بأمر كلمته فقط: وقال الله ليكن نورٌ... ليكن جلدٌ... وكان كذلك ورأى الله انه حسنٌ. وفي اليوم السادس عندما أراد الله خلق الإنسان لم يقل ليكن الإنسان. ميَّزه أولاً عن باقي المخلوقات إذ قال «**نعمل** الإنسان على صورتنا كشَبَهِنا» (مثالنا) (تك ١: ٢٦). الله الثالوث قال نعمل. لم يأمر وآخر نفذ. هو عمل الإنسان. هذه فرادة الإنسان الأولى في طريقة الخلق، ان الله بنفسه صوّر جسد الإنسان بيديه من تراب. القديس باسيليوس الكبير يقول: «لم يكلّف ملاكاً بهذه المهمة، ولم يقل للأرض أن تصنع الإنسان، لكنه بيديه الإلهيتين كفنّانٍ ماهر أخذ تراباً ليخلق

أحد تلامذته المدعو يهوذا جديراً بمحبته. انفسد واجدب نفسياً وتوصل إلى تدبير مؤامرة لتسليم السيد، فكر بالجريمة، فكر بأكبر جريمة يقترفها إنسان. لكن المسيح الوديع لم يبعده بالرغم من كل ذلك عن حلقة التلاميذ. كان يتصل به كما يتصل بالآخرين من أصدقائه الخلّص. يا للوداعة! مع من كان يشترك المسيح؟ مع المجرم الخائن. كان يعطيه كل الأسرار، وقبّل من قبّله. مات من أجل أولئك الذين أحسن إليهم فجرّد المُحسَنُ إليهم سيوفهم في وجهه. وكان رئيس المجرمين تلميذاً من تلامذته، وكانت القبلة إشارة للجريمة. كان السيد الذي تحمّل كل هذا وديعاً رحوماً. عندما رأى ان أحد العبيد الذين اشتركوا في الجريمة قد قُطعت أذنه بسيف بطرس شفاه فوراً. لم يخشَ أعداؤه قوّته العجائبية فاستمروا في جريمتهم. لقد تحمّلهم السيد وهم الذين يستحقون أقسى العقوبات وأشدها فلم يرعووا هم ولا هو أبادهم بصواعق النار.

القديس نيقولا كاباسيلاس

الإنسان. فإذا نظرت إلى التراب تجد ان الإنسان كائن حقير، ولكن إذا نظرت إلى مَنْ صوَّر الإنسان بيديه تدرك حينئذٍ عَظَمة الإنسان».

عَظَمَة الإنسان تتضح في الرواية الثانية للخلق الواردة في الإصحاح الثاني من سفر التكوين. هناك نقرأ: «وجَبَل الرَّبُّ الإلهُ آدمَ تُراباً من الأرض. ونَفَخ في أنفِهِ نسمَةَ حياة. فصارَ آدم نفساً حيَّةً» (آية ٧). فرادة الإنسان إذاً، ان الله لم يخلقه بكلمة بل أخذ تراباً من الأرض وجَبَله بيديه. يبقى ان الإنسان من حيث طبيعته الترابية لا شيء، ولا شيء يميِّزه عن المخلوقات الأخرى. لكنه عظيم جداً بسبب الشرف الذي أحاطه به الله نفسه. لقد نفخ الله نسمته في الإنسان. حياة الإنسان إذاً هي من الله. نسمة الحياة بثها الله فيه. وهذه النسمة لم يُشرّف اللهُ بها أحداً إلاَّ الإنسان وحده فقط. من هنا عَظَمة الإنسان. هذا وجه من قول الله «نعمل الإنسان على صورتنا ومثالنا».

الحياة في الإنسان إذاً هي صورة الله ومثاله. لكن ما لا ينتبه إليه الكثيرون هو الترابط المحكم بين صنع الإنسان على صورة الله وبين السلطان على كل ما خلقه الله على الأرض. نقرأ في سِفر التكوين: «وقالَ اللهُ نعمَلُ الإنسانَ على صورتِنا كشَبَهِنا. فيتسلَّطون على سَمَكِ البحرِ وعلى طَيرِ السماءِ وعلى البهائِمِ وعلى كُلِّ الأرض وعلى جميعِ الدَّبَّاباتِ التي تدبُّ على الأرض. فخلَقَ اللهُ الإنسانَ على صورَته. على صورةِ اللهِ خلقه. ذَكَراً وأنثى خَلَقهم. وباركَهم اللهُ وقال لهم أثمِروا واكثُروا واملأوا الأرضَ وأخضِعوها وتسلَّطوا على سَمَكِ البحرِ وعلى طَيرِ السماءِ وعلى كُلِّ حيوانٍ يَدِبُّ على الأرضِ» (تك ١: ٢٦–٢٨).

إذاً، خَلَق الله الإنسان ليكون قائداً. هدف حياته أن يكون قائداً. صاحب السلطان هو قائد كونه مسؤول عن كل ما حوله. آدم، قبل السقوط، فَهِمَ ان سلطته، ان حياته، مرتبطة بما حوله، لذا كان يهتم بكل شيء حتى انه هو مَن سمَّى الحيوانات والطيور بأسمائها. بعدما خَلَق الله الكائنات الأخرى «أحضَرها إلى آدمَ ليرى ماذا يدعوها. وكلُّ ما دعا به آدمُ ذاتَ نَفْس حيَّةٍ فهو اسمُها. فدعا آدمُ بأسمَاء جميعِ البهائمِ وطيورِ السماءِ وجميعَ حيواناتِ البريَّةِ» (تك ٢: ١٩–٢٠). إذاً، سلطة الإنسان على الكائنات والأرض مرتبطة بصورة الله ومثاله الموجودين في الإنسان. وبقدر ما يتصرَّف الإنسان بحسب وصايا الله الذي أوصى بمحبَّة القريب (متى ٢٢: ٣٩)، يعكس صورة الله ومثاله.

افتتاح قاعة كنيسة البشارة

برعاية صاحب السيادة المتروبوليت الياس (عوده) سيتم تكريس وافتتاح القاعة الجديدة لكنيسة بشارة السيدة في الأشرفية عند الساعة الثانية عشرة ظهر يوم الأحد الواقع فيه ٢٠ كانون الأول ٢٠٠٩.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb